عنوان الكتاب	:	رحلة سمو الأمير الجليل محمد على إلى جاوه
المؤلـــــف	:	**محمود محمد فرغلى**
سنة النشـــر	:	١٩٢٩
رقم العهـــدة	:	٤٥٨٥
الـــ ACC	:	٥٠٦٧
عدد الصفحات	:	١٢٠
رقم الفيلـــــم	:	١١

SCHOOL OF AGRICULTURE GIZA
LIBRARY

رحلة

سمو الأمير الجليل محمد علي

إلى

جاوه

عني بترتيبها وتبويبها

محمود محمد فرغلي

٥٠٦٦ / ٨٠
٤٥٨٥ / ١١١
٩١٤,٢ / ٥٠٣

مطبعة رقي المعارف

LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

حين تقدمنا إلى بني الوطن العزيز برحلتنا إلى «أستراليا» من بضعة شهور كان من حظنا أن نعدم بتقدمة الحلقتين الباقيتين . . رحلتنا الى « جاوة » ورحلتنا الى الهند .

وكأنما أراد الله أن يفسح أمامنا سبيل التوفيق فيما أخذنا به من تحقيق دقيق لهذه الممالك التي أنعم علينا بزيارتها والتجوال فيها . واستظهار بواطنها وحواشيها . فهيأ لنا جل شأنه من أسباب الرعاية ما تمكنا به أن نفي بالعهد . ونبر بالوعد . . .

وانه لخير أن يقرأ أبناء الوطن المحبوب — وهم شعبة من الشرق — حديثا عن بلد شرقي يسطره قلم يفاخر بشرقيته . . ويعتز بها

إلى ذلك ناحية أخرى يحسها المسلم شغفا وأملا في دراسة أحوال أمة تؤآخيه في الاسلام

ولقد طالما تلمسنا روح هذه الرغبة في إخراج هذه الرحلة ممن قرأوا رحلتنا الماضية واطلعوا على ما ضمت واستوعبوا ما احتوت . . .

فكان لنا فى هذه الرغبات الصادقة مادفعنا إلى أن نيسر من وقتنا فينات متفاوتة نقضى خلالها الى جمع مذكراتنا . والبلوغ بها أخيراً الى هذه الحالة التي يشهدها عليها أبناء الشرق الجميل .

فاذا نحن قدمنا رحلتنا إلى « جاوة » تسجيلا لما تركت فى نفسنا من أثر بعيد ، ودفعاً إلى التاريخ الخالد بما قد ينفع الخلف ويجديهم فأنما ندعو الله أبلغ الدعاء . . ونرجوه أوفر الرجاء ان يمدنا بفيض من رعايته حتى نقدم فى موعد قريب رحلتنا إلى « الهند » وحتى تتم بها الحلقة الاخيرة فى سلسلة رحلاتنا حول العالم هذه الرحلات التى قضينا فيها وفى نوالها ما قضينا من جهود بذلناها مخلصين . وتحملنا أعباءها مؤمنين بأنها شطر من العمل الصالح المفيد

جـــــاوة

كلمة عامة

حين استعمر الهولنديون جزيرة جاوة — وهى أقدم مستعمراتهم فى أسيا — تلفتوا إلى صعيدها فأذا به يدل على كثير من الخصوبة ووافر من الحياة فبذلوا جهدهم فى تمهيده للانتاج الصالح تمهيداً يكفل لهم الربح الوفير . . حتى أصبحت « جاوة » بفضل الجهود التى بذلوها . . وبفضل ضآلة أجور العمال فيها . . . تشبه فى شأنها مصرنا العزيزة فى وجهة الزراعة ونمائها واستطراد النجاح فيها . . .

ولم يترك الهولنديون شبراً واحداً مما يصلح للزراعة فى جاوة دون أن يستغلوه . ودون أن يصلحوا من شأنه

على أن الظاهرة التى تمسها فى الناحية الزراعية بجاوة ظاهرة تدل على تعاسة أهليها وشقاء المواطنين فيها . . فأن الهولنديين ككل شعب أوروبى طموح قد امتلكوا كثيرا من هذه الارض الخصبة . . سواء بالوراثة عن آبائهم وأجدادهم . أم بتحوير الفضاء الواسع على اكتاف الجاويين وبأيديهم إلى ارض زراعية تؤول إليهم وتؤول إلى جيوبهم خيراتها . .

وعلى هـذا . فان موارد الثروة تنتهي إلى خزائن الهولنديين . . وإن نتاج الجزيرة العظيم لاتمتد إليه يد غير يدهم التى عرفت كيف تغرس البذرة السليمة فى الصعيد الخصيب لتجنى حصاداً موفوراً جماً

وكما أن كثيراً من أغنياء الأنجليز يأخذون موارد ثروتهم مما يجلبونه من الهند . . بل كما أن الانجليز جميعاً . ينظرون الى الهند . فأن الهولنديين قد جعلوا من جاوة ذلك المصدر الذى لن ينتهى خيره ولن تخبو شعلة حياته

فعلى ضوء هـذه الحالة التى يشاؤها الهولنديون من مستعمرتهم الأسيوية الجميلة تمكنوا من أن يلبسوها ثوباً قشيباً من الرونق الممتع . والبهاء الجذاب فعبدوا من طرقها ومهدوا فيها أسباب النظافة . وآتوها من ألوان العناية بالصحة العامة ما ترى أثره على الجاويين . . أولئك القوم الذين لاتقع بينهم على واحد ذى عاهة أو عيب . على الرغم من هزالهم الطبيعي وضعفهم الكبير . . .

وقد لانغلو فى القول . . اذا نحن تحدثنا فى هذه الكلمة ان الهولنديين يرعون جانب المجاملة فى معاملتهم لسكان الجزيرة . . فقد باعدوا بين هذه الفوارق المنفرة . وجعلوا منهم شعبة جاوية إن حق لها أن تفاخر على المجموعة بشىء فأنما تفاخرها بالتهذيب واللون الأبيض

نعم باعد الهولنديون بين هذه الفوارق فقبلوا أن يخالطوا الوطنيين ويمتزجوا بهم حين ارتضوا أن يزوجوهم ويتزوجوا منهم وهذا فى الحق صنيع جميل . وعمل يدل على الرأفة التى تشبعت بها عقول المستعمرين الهولانديين دون سواهم .

وليست مسألة الاختلاط الجنسى كل ما أخذ الهولنديون به أنفسهم من التقرب إلى سكان الجزيرة بل إن هناك مسألة قل أن أخذ بها الانجليز

والأمريكيون . وقل أن آمنوا بأنها دليل واضح على حسن الطوية . وسلامة الضمير . . . تلك هى أنك ترى الجاويين يخالطون الهولنديين فى النوادى والمجتمعات وترى أنهم فى هذا الاختلاط لا يبدون أقل شأنا ولا أيسر احتراماً فيها من أندادهم الاجانب . . . فجميعهم فى هذه الحلبة إخوان وعلى قدم المساواة . . .

بارزة ظاهرة

وثمة ناحية نشهدها فى جاوه . وهى أن السلاطين فيها قوم فقراء جداً معدمين بما لا يلابس مراكزهم ولا يجانس قيمتهم فى تلك الحياة ذلك أن اكبر راتب يتقاضاه أجل سلطان فيهم لايجاوز ألف جنيه فى الشهر . وعلى الرغم من هذه الضآلة الواضحة فى رواتبهم فقد أصبح من الحتم عليهم أن يحيطوا أنفسهم بسياج من العظمة والأبهة . . . وقد تمثلوا هذه العظمة فيما غمروا به قصورهم من مئات الخدم . ومئات النساء يسيطرون على الاولين ويتبادلون الآخرين فى غير عمل الا الأكل والنوم . . وما ينصرم بين هذين من أوقات يقضونها إلى الزوجات . .

ومن العجب ألا يكون لاولئك السلاطين عمل رسمي بارز . . اللهم إلا فى مناسبة الاعياد الدينية حين يخرجون برجالهم لقضاء التشريفة وإلا حيث يستقبلون حاكم الجزيرة وما اليه من عظماء الاجانب . . وهذا جل . . رسميتهم . . وكل ما يؤدون من وظائف عامة .

وبين المشاهد الأخاذة التى تغمر الزائر العربى فى جاوة . . أنها تجمع

اليها أشتاتا من العرب أقاموا مدارس عامة للتعليم العربى .. على أنها وان تكن فقيرة فى مالها . فانها فى الحق تؤدى عملا جليلا يستحق الأكبار والفخر . .

وليس ذلك الفقر وليد الظروف الخاصة التى تحيط الأهالى عاماً من أعوامهم ثم تندثر بل هو طبيعة تضم الوطنيين جميعاً . . أولئك الذين يعيشون على التافه القليل . بينما يعيش الهولنديون عيشاً رغيداً سعيداً

وهنا لامحيص لنا من أن نذكر أن الاغنياء وذوى الثروة فى جاوة . . لايتألفون إلا من طبقات الهولنديين . . تتبعهم الشركات الاجنبية تتلوهم فئة التجار من الصينين . . هـذه الفئة التى استحلت حرمات الذمم . واستحوذت على جوانب الرياء .. والمعاملة السيئة الضارة فأنها فى معاملتها مع الاهالى قد استنت سنة اليهود والأروام فى جميع البلاد . وقد بزتهم فى ظاهرة غريبة ألمية . حين تعطيهم بضائعها بثمن باهظ . وحين تطالب الفلاحين الذين لم يتدربوا على القراءة والكتابة — وهم كثيرون — بثلاثة أضعاف ما اتفقوا عليه من ثمن استغلالاً لجهلهم ، واتكالا على سريرتهم الطيبة . . . :

ومن الخير أن نسجل فى سجل رحلتنا عن جاوة هذه الميزات الجميلة التى يتمتع بها أهلوها فأنهم على أجمل ما نرجو فى طيبة النفس وسلامة الشعور ، وإنهم لعلى جانب عظيم من جمال التربية الاسلامية المجيدة التى تهتف بالاخاء والنقاء والصفاء والتقوى . .

وإنه وان تكن هذه الميزات وحدها خير ماتنشد البشرية من محامد

فأن الجاويين قد ألبسوها دثارا من تقديرهم للحياة كأنهم يعيشون أبداً . يعنون جد عنايتهم بالنظافة فلا ترى فيهم رثا ولا أشعث أغبر . ويستقبلون فى كثير من الاكبار والخضوع دون أن يسترسلوا فى مواطن الصلف . ولا فى رحبة الكبرياء . . آخذين فى هذا السبيل عن طوية صادقة . ونفس حساسة كبيرة . .

وقد اتخذوا لهم كثيراً من عوائد الهنود والصينيين . . أولئك الذين يشبهونهم فى صور شتى . . فعيون الجاويين وأوداجهم جد شبيهة بأمثالها فى الصين وألوانهم وأجسامهم تتراءى لك وكأنها قد خلقت من طينة الهنود . .

وهذا مايدفعنى الى القول بأن الجنسية الجاوية مزيج من الصين والهند تهيأت لها هـذه البقعة الخصيبة فى تلك الجزيرة فآووا اليها والتأموا فيها شعباً كاملا كبيراً .

وقد أنس الجاويون الى نوع واحد من الملاهي يطربون له ويفرحون . . ذلك النوع هو « طيارة » من الورق الملون ينشرونها فى الهواء بين الاعجاب والبشر . . فكبيرهم يملك طائرة . . وصغيرهم لابد له منها على أنك تلمح فوارق الناس فيها . . تلمح طائرة الرجل الثرى . . أو الطفل الذى يدرج فى رحبة النعمة . . كبيرة الحجم جذابة المظهر . . بينما تلمحها صغيرة ضئيلة فى يد الفقير المعدم . .

وعلى هـذا فقد يكون من اليسير عليك أن تتعرف الثروة والاملاق . . من حجم هذه الطائرة الورقية المحبوبة لديهم . . :

وبين المشاهد العجيبة المألوفة فى هذه الجزيرة وفى نوع ملاهيها . ان الاهالى ينتظرون يومى العطلة العامة . . الجمعة والاحد . . فيكتظون فى الفضاء الرحيب فريق منهم يحمل هذه الطائرات وينشرها فى الاجواء . . وفريق كل همه أن يشاهد . وأن ينظر . . وأن يطرب نفسه بهذه السابحات فى الجو تملأ فضاءه وتقفز فى فسيح رحابه . . :

ويمكننا حين نعود إلى ناحية الثروة فى جاوة وإلى ماأفاضت على الهولنديين من خيراتها أن نؤول هذا . . إلى كثرة الأيدى العاملة فيها وإلى ضآلة الاجور التى تعطى لهم ... فالأجانب الذين يتملكون أراض شاسعة فى هذه الجزيرة وفى أشباهها يعمدون إلى اصلاحها بتلك الأيدى التى لاتتطلب أجوراً كهذه التى يتناولها العامل الزراعي فى مصر . . نعم فأن العامل المصرى يتراوح أجره فى اليوم بين ستة قروش وسبعة فاذا كان صبياً فان أجره بين ثلاثة وخمسة . . أما فى جاوه فان عاملها يتناول أقل من عاملنا اليافع بكثير . . :

وعلى هذا فقد تسنى للاجانب أن ينتجوا محصولا وافراً من الأرز والشاى والبن . . دون أن يبذلوا فى سبيل إنتاجه شيئا يذكر . والى هذا يعود ربحهم الكثير . .

ولقد أدهشني أن تكون جاوة ذات المناخ الحار . والهواء المتوهج بلداً صالحاً لانماء كثير من الفواكه الحلوة الجميلة ، وأن تكون بين فواكهها تلك الأنواع التى تجمع الذباب من حولها فأذا تلفتت

حواليها وأمعنت فيها لاتطلع بعد شديد بحثك وجسيم استقصائك على ذبابة واحدة :

ذلك أن الهولنديين قد عرفوا بعنايتهم الطبعية بكل ما يمس الصحة العامة كيف يبيدون الذباب من هذه الجزيرة وكيف يجعلون البعوض نادراً جداً . . :

ومادمنا قد طرقنا ناحية الزراعة فى جاوة فانا نذكر باعجاب للحكومة الهولندية بالغ دقتها فى مراقبة الزراعة العامة حتى أصبحت محصولات الجزيرة ذات أثر فعال فى السوق الدولى . وذات ثقة وافرة من جانب المستهلكين فى العالم . .

فالحكومة الهولندية قد أنشأت قسما خاصا بالمزروعات فى مصلحة الزراعة.. وقد غذته بمعامل التحليل الكيماوية رغبة منها فى اختبار البذور من أرز وبن شاى وكا كاو ، ، فان وجدت فيها شيئا من العطب أبادتها وأمرت الزراع أن يأخذوا بذورهم من النوع النقى الجيد ، ، لاعجب فى هذا فان أوروبا لم تخلق أكثر دراية من الهولنديين فى مستعمراتها التى تحورها الى جنات ذات أفنان

وفى صدد الزراعة نذكر أن النباتات تنمو فى جاوة نماء حسنا ، وهذا لوفرة الأمطار التى تؤدى الى خلق حالة جميلة ممتعة بجوار ماتؤديه للزراعة وهذه الحالة أنك لاترى في الجزيرة أكداس التراب التى نتراكم فى الطرقات وتذروها الرياح فى أعين المارة .

* * *

ويأسف الجاويون لان جزيرتهم كثيرة الزلازل ذلك أنها وما حواليها من جزر قد صبغت طبيعة أرضها بالطابع البركانى الذى تحدث عنه هزات الأرض العنيفه ، وقد لجأ الاهالى اتقاء للخسائر وتجنباً لفوادح الزلازل إلى منازلهم فابتنوها من « البامبوز » لان هـذا النوع من الاخشاب حين يتصدع لايحدث له الا قليل من الانحناء ، يسهل عليهم تقويمه .

وتخالف منازل الافرنج تلك الحالة التى اقيمت عليها منازل الوطنيين فقد اقيمت بالطوب الاحمر على طبقة واحدة تشبه ما عليه منازل الامريكيين فى جهات امريكا البركانية .

ان البركان حين يثور يدع كل شىء رجاماً .. يحول الجبل الى رماد ويحول الغابات بأشجارها الى هشيم تذروه الرياح . . على أن السائح الذى يشاهد تلك الأكداس التى خلقها البركان الثائر حين تطاوعه الأقدار فى العود الى جاوة مرة أخرى . . لرأى مايدهش اللب ويحير الجنان . . لرأى أن عناية الحكومة وكثرة العمال قد أحالت الهشيم جنات . . . والرماد غابات فاتنات . . . كأنها لم تحرق ولم تمتد إليها يد النار . :

فى وسعنا أن نشبه جو جاوة — دون أن نخطىء فى التعبير بأجواء السوبات . . المنازل الزجاجية . . التى توجد فى أوروبا . فقـد جمع الله الى جاوة . . . النور والشمس والجو الغير متقلب . والماء القراح . وقد ألبس تربتها حلة من الخصوبة . . وتلك عوامل تهيىء لنباتاتهـا النمو المضطرد السريع

ولعل الظاهرة الوحيدة التى لاتبدل ميزاتها ولا لونهـا بتبدل الفصول . . هى ميزة المناخ الجاوي فإنه لا يزيد عن ١٠ درجات فى الصيف والشتاء . . وهذا ما يجعل جوها بعيداً عن موطن البرودة . قريباً من أن يكون صيفاً معتدلا طيلة العام

ولأن مياه الامطار كما يقرر النباتيون هى خير ما يغذى النبات ويدفع إليه القوة والحياة . . فأن كثرتها فى جاوة دليل ينهض بوفرة تقدمها فى هذا الضرب من ضروب الانتاج الجميل . .

وفى مقدورنا أخيراً أن نؤكد بأنه لاتوجد آبار أو منابع تجدي على النبات وتهيىء له أسباب النشاط فى نموه . . لاتوجد هذه الآبار والمنابع على تلك الميزة الا أن تكون فى جاوة . دون ممالك العالم جميعاً . . .

* * *

تلك كلمة جامعة تحيط فى كثير من الأجمال ما تذخر به مذكراتنا من إسهاب نرجو أن يؤدى إلى الغاية التى ننشدها من تحقيق بعيد عن الأغراق . . بعيد عن المغالاة . .

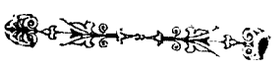

٣ أغسطس سنة ١٩٢٦

فى ميناء « مكاسار » امام جزيرة « سيلابس »
الساعة الخامسة والنصف صباحا . . .

نطالع الآن انفس منظر من مناظر الطبيعة فى ذلك الوقت البا كر فأمامنا مشهد الشروق ببهجته وروائه تتحور ألوانه وتتبدل مرائيه . فاذا كانت الشمس تنسج وشاحها الاول رأيت السماء فى لونها الياقوتى البهيج حتى إذا ما تعددت الألوان وتزاحمت الصور شهدت السماء وقد لبست إهابا ذهبياً وهاجا . لتبدو لك بعدفترات زرقاء الأديم . . فما أحفل ما يغمر النفس من جلال هذه الصور المتحركة بيد الله القدير . .

وعلى الرغم من أن الميناء لاتقع على بوغاز فانها تتراءى للناظرين على حلة جميلة رائعة . .

فسواحلها الموشاة بالسندس المزركشة بالخلجان الصغيرة الجميلة تلك السواحل التى تشبه نظائرها فى شمال استراليا . وهذه الجزر الصغيرة التى تزهو بالخضرة والازاهير وهذه السهول المنبسطة التى تتألف منها « مكاسار » يحيطها البحر من جانب وتحرسها الجبال الشوامخ الرواسخ من جانب آخر . كل هذه المرائى الطريفة ، والمشاهد الجميلة ، آيات تغمر النفس بفيض من البهجة ، وصيب من الحبور .

كانت السماء عند مقدمنا الى الميناء تتزين صفحتها الساجية بذلك اللون الأصفر . لون العصفور « كناريا » وكانت الشمس كلما أخذت

سبيلها الى الحياة والتألق . كلما سترت بنقابها الابيض البهيج ذلك اللون الصفراوى الفاقع . حتى اذا استدارت دارتها ، ونزحت عن الأصداف درتها رأيت الزرقة الصافية ، والفتنة الضافية ، والصحو البالغ ، والجمال المزدهر . يشع على كل كائن ، ويبعث الحياة فى كل الوجود .

ولقد شهدنا على شاطىء البحر أشجارا كثيرة أحفلها على جانبه شجرات « جوز الهند » كما رأينا عديداً من « القوارب » السابحة فى لجة اليم ، وقد امتلكها الصيادون الذين اتخذوا من أسماك البحر ، حرفة يبلغون منها ما آربهم فى العيش . فأما هذه القوارب فانها — فلائك طويله ورفيعة ترتكز من جانبيها على خشب طويل مرتبط بعمودين كسند لها من جهتيها وأما قلوعها فانها على نسق من قلوع المراكب الصينية ، التى هى عبارة عن قلع مربع من الامام

فى الساعة السادسة والربع قدم رئيس البوغاز وفى الساعة السابعة كانت الباخرة قد ألقت مراسيها واستقرت على الرصيف فتناولنا طعام القطار على سرعة أحدثتها رغبتنا فى التنزه داخل المدينة وكان مما أشير به علينا ان نشاهد شلالا يبعد عنها باثنين وأربعين كيلومترا

ولقد تعرفنا برجل تدل سحنته عن كثير من الذكاء والفطنة فحين سألته عن دخول المدينة وعما اذا كنا بحاجة الى جواز سفر خاص كان جوابه أنه لاحاجة بنا الى ذلك ثم علمت بعد ذلك أنه صاحب فندق يدعى «Orange»

وجاءنا ممثل « كوك » فى «مكاسار» وأخبرنا أن سيارة قدم بها

على الرصيف قد أعدت لتكون تحت إمرتنا فأسرعنا فى النزول ، وبدرت عندى خاطرة أحسبها جديرة بأن تلابس كل سائح فى بلد لايعرف مسالكه ولا نواحيه

تلك هى إنى شئت أن أكون أول الذين يأخذون طريقهم الى المدينة حتى لانصاب بوابل التراب الذى يتطاير من ازدحام السيارات السائرة أمامنا ، ثم هناك سبب آخر لايقل اهمية عن سابقه ، وهو أن يتسنى لراكب السيارة الامامية أن يجد من خلفه سيارة تسعفه اذا ما أصيبت سيارته بسوء ، أما اذا كان من المتأخرين فانه يصعب عليه أن ينقذ نفسه

ووقفنا فى الميدان الكبير لملء مخزن البنزين ثم مررنا فى طريق تحف على جانبيه أشجار « الفيكوس » المرتفعة الشامخة

وفى آخر المدينة شهدنا مقابر المسيحيين تجاورها مقابر الصينيين ، ثم انتهينا الى أرض نائية عن المدينة تملأها أشجار الغاب «Bamboo»

أما منازل الاهلين وأكواخهم ، فإنها قائمة على عمد مرتفعة ذات منظر بهيج

وأما شجر الاثمار فيانع كثير ، وأجزل ما تشاهده كثرة وانتاجا فى جوانب المستنقعات وعلى حواشيها وأغزره شيوعا فى هذه الاصقاع « جوز الهند » والموز .

مررنا بعدئذ على « كفر كبير » وأمتع ماأخذنا فى أهله أنهم لايرتدون من الملابس غير « الفوط » الزاهية اللون . وأنهم يتدثرونها فى مواضع

العفة . تاركين ماتبقى من أجسامهم دون أن يسدلوا عليها إهابا .

وبعد ان اجتزنا عشرة كيلومترا بين غابات وأشجار ، ألفينا أنفسنا وسط سهول رحيبة أجزل مزروعاتها الارز ، يعمل فى حصاده الاطفال والنساء . إلى ذلك ماشهدنا فيها من حيوان « الجاموس » الذى يقززك فيه ولايسرك منه بشرته البيضاء ، وأنفه الذى يشبه أنف الخنزير .

وقد اجتزنا بعدئذ بلدانا كثيرة ، وأنهاراً صغيرة حتى طلعنا على بقعة جبلية وقع نظرنا فيها على كثير من المنازل التى بنيت من الحجر وقيل لنا أنها تتبع الحكومة وأن بها أمكنة السجن . وان المناظر فى هذا المكان لجميلة ورائعة ، فهذه الصخور الحجرية المديدة التى يبلغ اتساعها من مائة الى مائتى متر ، والتى تملأها النباتات المتنوعة ، تلك الصخور من الطباشير .

لقد زينها السيل بكثير من الخطوط والتجاويف يحسبها الرائى نقوشا أبدعتها يد الصانع وهذا ما يزيدها رواءاً وفتنة

وفى مناسبة السيول يجدر بى أن أقرر حقيقة الطبيعة فى تلك الجزيرة فأنها غزيرة المطر كثيرة الشجر حتى عاف التراب أديمها

وترى فيها أوراق الاشجار تزهو وتلمع فتخالها على حال مرضى حسن ، بينما يدهشك انى لم أشاهد شجر الموز دون أن يكون له ورق طويل ومقطوع كما شاهدت فى تلك الجزيرة وان ارتفاع شجر

« البوسيانس » يبلغ الى عشرين متراً حتى ليعلو أشجار المانجا الكبيرة التى تكثر فى افريقيا والهند ،

ثم انتهينا الى « الشلال » الذى أشير علينا بشهوده ودخلنا فى مضيق لرؤياه فأذا هو فى الحق دون ماتصورنا ، ودون ماسمعنا عنه بكثير ، على انا قد استعضنا عن مشاهد الشلال بمناظر الطبيعة الخلابة التى غمرتنا طوال نزهتنا وبعد أن مكثنا قليلا قفلنا عائدين . فصادفنا فى طريقنا أولئك السائحين الذين قدموا بعدنا لمشاهدة ذلك الشلال

إن الفلاحين هنا يحملون بضائعهم على عصى من طرفيها توضع على اكتافهم : وذلك هو شأن الصينيين فى هذا السبيل . أما خيل هذه البلاد فصغيرة الحجم. واكثر مايستعمل فيها من حيوان هو .. الجاموس..

كما أن ابناء الصينيين يغمرون بكثرتهم البقاع والاصقاع

عدنا الى المدينة ومكثنا برهة فى فندق Orange « أخذنا خلالها القهوة . ثم دفعنا أجرة السيارة ورجعنا راجلين الى المركب . . . وكان الوقت حينذاك الساعة العاشرة والربع صباحاً فشعرنا بوافر من الحرارة أحدثها وهج الشمس وجسيم لظاها

وفى الساعة الرابعة مساء تحركت الباخرة بعد أن تسلمت البريد الذى جاءت به إليها سيارة ربطت على مقدمها «العلم التركى» ومن العجب أن نشهد فى جزيرة نائية بعيدة كجزيرة « سيلابس » منظر «العلم التركى» يرفرف فى أجوائها البعيدة . . ولكنها عروة الدين تربط الممالك . وتهيء للناس قبلة واحدة يتولون شطرها من كل فج

وكان معنا فى الباخرة واحد من كبار الموظفين الهولنديين فى جاوة بينما كانت تزخر بجمهرة من أعيانها وتجارها جاؤا على رغبة توديع أصدقائهم النازحين وقد بدت على رءوسهم العمائم . مما يدل على أنهم من المسلمين . .

ولقد حاولت أن اتحدث معهم بالعربية على أنه ظهر لى أنهم فى ضربها على كثير من الجهالة . إلا واحداً منهم . تمكن له أن يتعرفها وهو تاجر يمنى وكهل كبير . . .

عندمادق ناقوس الباخرة إيذانا بأقلاعها من الميناء شاهدنا كثيراً من الأطفال الفقراء يعدون تجاه الباخرة على الرصيف رجاء منهم أن يصيبوا ماعسى أن يلقيه الراكبون من نقود تعولهم وتفرحهم . ولقد بلغ عديدهم ثلاثمائة شخص بينهم حشد ممن قدموا لمشاهدة الباخرة والتمتع بمناظرها . فإن البواخر لا تقدم ساحلهم إلا كل أسبوع . . فانتظارها والاختلاف إليها عمل مطرب جميل

وقد سحب الباخرة رفاص به رئيس البوغاز لمناسبة امتداد الرمال داخل البحر حتى ليسهل عليك أن تسير على قدميك أميالا عشرة دون أن تجد عمقاً .

وها هو النسيم يهب والباخرة تتحرك والسرور السابغ يحيط نفسنا ويفعم قلبنا . . وذلك اليوم الممتع وما شهدنا فيه من مباهج ليجعل حقاً صريحاً كل ما تحدث به السائحون عن هذه الجزيرة الجميلة وعن مرائيها الجذابة الرائعة

٤ اغسطس

نحن الآن فى غمرة اللجة . تسبح باخرتنا على صفحه اليم . والهواء المندفع من خلفها إلى ما تفردت به من سرعة بالغة قد أحدث غير قليل من الضيق . . إلى ذلك وفرة الحرارة ووهجها وشدتها

وفى المساء أقاموا مقصفا فاخراً لمناسبة وصولهم . . وقدم الطعام كدعوة من القبطان . وأداروا كؤوس الشمبانيا على السائحين . . وأتاحوا لكل منهم أن تصيبه هدية جميلة من الشركة الهولاندية التى تبعها هذه الباخرة كتذكار للسفر والمسافرين

ولما كنت لاأحتسى الشمبانيا ، ، ولم أتعرف من قبل إلى القبطان . فقد أسرعت جهدى فى تناول الطعام ، حتى يتسنى لى أن أدع ذلك الازدحام الهائل والضجة العالية والضجيج المفزع ، وحين انتهى الطعام بدأت حفلة الالعاب الرياضية مشوقة طريفة ، ثم انتهت بما أخذه الفائزون من جوائز

٥ أغسطس

استيقظت فى الصباح الباكر وكانت طبيعة الجو مقرورة تنفث الزمهرير وبعد أن أديت فريضة الصلاة ، وتلوت ماتيسر لى أن أتلو من القرآن الكريم وفاقاً لما رضت عليه نفسى من أمد بعيد ، تناولت طعام الافطار ثم علمت أن الباخرة قد ألقت مراسيها على ثغر . . سورابايا . . .

فأما ثغر . . سورابايا . . فانه أكبر موانىء التجارة فى الجانب الجنوبى الشرقى من الجزيرة ، وأما ما يرجى له من مستقبل فأن بوادره تدلنا على نجاح باهر ذلك أنه أول ميناء يصل إليه القادم من أستراليا والجزر الجنوبية التى تتبع هولانده وذلك أنها قد استعدت بمعاملها العديدة لتهيىء طريقها المعبد بين الثغور الممتازة وحسبها ما يتحدث به المتحدثون عنها من نوالها هذه المنزلة الرحيبة فى التقدم والنجاح . . . فى مثل ذلك الزمن الوجيز . . .

وقدمنا إلى الباخرة مندوب « كوك » وقدم لنا رئيس فندق . . أورانج . . الذى رغبنا النزول فيه . .

وكان مما أردناه أن نغادر الباخرة قبل أن تطأ الأرض من ركابها قدم نزوحا منا عن مغبة الزحام . . وهكذا كنا أول من أخذ طريقة إلى اليابسة بين السائحين جميعا . فمررنا بالجمرك وأرينا رجاله الجواز الذى أخذناه من السفير الهولاندى فى مصر كتوصية لهم من جانبه على أن يسهلوا أمامى من إجراءاتهم . . .

ولقد تقدم إلىّ واحد من الموظفين يسألنى فى أدب جم عما إذا كنت أحمل معى سلاحاً . فلما أن أجبته بأنى لا أحمل غير . . روفلفر صغير كان من شأنه أن أخبرنى فى كثير من الاحترام أنه من المحظور على أى قادم أن يدخل الجزيرة ومعه أى نوع من أنواع السلاح . . ولكنه عاد فرجانى أن انتظر خمس دقائق حتى يشير على رئيسه فى الامر

جنوحا عن المسئولية ورغبة منه فى أن لا يزيد فى هذه المسألة تعقيداً . لان واجبه الرسمى يحتم عليه مصادرة السلاح فوراً

فلما ذهب إلى رئيسه وأظهره على الخبر . وأفهمه أنى أحمل جواز توصية من السفير إلى ذلك ما أحمل من جواز « سيامى » أمر رئيسه فى الحال بمرورى موفور الاكبار . . محوطا بكل عناية . على أنهم كتبوا الى ألا أبيع « الروفلفر » فى « جاوا » ومن البديهي أنى لم أكن لأود بيعه كما يتوهمون .

لقد يجدر بى أن أثنى على ذلك الموظف لأدبه وذكائه ، وعرفانه لواجبه ، واضطلاعه بأعبائه في كثير من العذوبة التى خلعها عليهم حب النظام ، واحترام مشاعر الناس على صورة لاتأنف منها الواجبات ولا تحيطها شناعة الأهمال في العمل . . ثم أخذنا سيارة وذهبنا الى الفندق

تبعد الميناء عن المدينة خمسة عشر دقيقة بالسيارة . طريق ممهد ، مفروش بالمكدام ، ومموه بالاسفلت تقف على جوانبه الأدواح الكبيرة فإذا أمعنت فى ذلك الطريق المنسق وفى الشجر الوارف الظليل لملأتك غبطة المنظر البهيج جمالا وحبوراً

أما شوارع المدينة الكبرى فعلى خير ماتنشد من نظافة هى ميزة الهولنديين فى كل فج تحيطها الحوانيت المنتشرة والاشجار المزدهرة ولكن اليوم هو « يوم الاحد » فليس ثمة من حانوت يفتح بابه أو يستقبل زائريه .

وبلغت دهشتى منتهاها فى نظافة الهولنديين حينما رأيت الفندق الذى نزلنا به فهذا هو النظام الجميل وذلك هو المنظر الذى لم أشهده من قبل .

انه فندق كبير يتألف من طابقين ويجمع اليه فنائين زركش أديمهما بالزهر الناضر وسبحت فى سمائه اغصان الدوح . بينما كل حجرة من حجراته تزينها فراندة خاصة جميلة موشاة

وتقع البناية الوسطى التى تتألف من الطابقين بين هالة من البهجة تحرسها بنيتين من طابق أرضى عن اليمين والشمال . جعلتا على منظر « الفللا » لكل منها ثلاثة حجر للنوم يجاور بعضها بعضاً حتى يكتنفها الهواء المتجدد عند ماتفتح الابواب

وامام كل منهما . . فراندة . . تشبه الصالون الصغير مكشوف من أمامه وخلفها دورة المياه

وفى الساعة الثامنة والنصف وبعد أن أرسلت برقية الى سمو الوالدة أنبئها بوصولى الى جاوة اخذت سيارة للتجوال بها فى المدينة ورؤية مشاهدها

اعجبتنى «سورابايا» من وجوه كثيرة ... فما كنها الافرنجية التى تتألف عادة من طابق واحد . . أو من طابقين . وهيكلها الصغير المنسق وفضاء الحديقة الوافر الجمال وروعة النظافة التى تأخذ اللب . . كل هذه الصور تحرك فى النفس كامن الغبطة ودفين السرور . .

وتدعى هذه البيوت « بنجالو » وإذا كانت « جاوة » قد طبقت

شهرتها النباتيـة الآفاق . فأن الأشجار التى تحيط بالشوارع لدليل حاسم على أنها صعيد النبات الخصيب

ولما أمتعنا الطرف بمباهج الأحياء الافرنجية رغبنا أن نتصل بالأحيـاء الوطنية ومساكن الهنود حتى نشهد مناظرها فأذا هي ويالللأسف تعبر عن بالغ الضعة ، وجسيم الأملاق . هى وضيعة فى معالمها الدارسة ، وفى أطلالها العافية على أنها من وجهة الفقر ليست أكثر حظا من مثيلاتها فى الشرق . بل إنها لتقل عن كثير من الاحياء الشرقية البحتة التى شاهدناها فى أدوار الرحلات . وذلك لما تعنى به الحكومة الهولندية فى صوب الصحة والنظافة .

وعند أوبتنا إلى الفندق فى الساعة العاشرة بدأت وهجة الشمس تكسب الجو طبيعة حارة لاذعة . فتناولنا الطعام شهياً سائغاً متقناً بعد عشرة أيام كان طعامنا طوالها فى الباخرة قديماً لايحرك فى النفس عوامل الراحة . ولايذهب عنها بواعث النفور ثم آويت إلى فراشى نشدانا للراحة من وعثاء السفر الطويل . . .

ويجدر بى أن أقول أن الافرنج فى هذه المدينة لايدعون منازلهم أومتاجرهم بين الساعة العاشرة والنصف صباحاً وبين الرابعة مساء . فلا ترى واحداً منهم يجوب ناحية من نواحى الشوارع إلا أن يكون باعثه على ذلك أمراً خطيراً . . لأن الحرارة شديدة بحيث لايتحملها واحد من البيض فى هذه الساعة اللافحة وأول ما لاحظته تلك السحنة الزرية التى تبدو على وجوه الأهلين . وهذه الدمامة البالغة التى تحف بسيماهم .

وذلك التحول الهائل فى أجسامهم وذلك الضعف والهزال الذى يغمر هيا كلهم . كما إنى لم أشهد من بينهم واحداً تبدو عليه حالة الشيخوخة . . فكلهم فى الحق قصار صغار ، على تناقص من الصينيين الذين يفوقونهم فى القوى والذين يؤلفون جالية كبيرة لها شأن فى ثروة الجزيرة بماتضم إليها من التجار الكبار المشهورين . .

وأدهش ما عجبت له أنه مع وجودنا فى بلد إسلامى ، ومع شهودنا لبضعة من المساجد الصغيرة والمدارس الاسلامية فإن أهمية الاسلام هناك حديث لا شك أن المسلمين يتحسرون لسماعه والانصات اليه . !

وفى الساعة الرابعة غادرنا الفندق فى سبيلنا الى التجوال مرة أخرى بالمدينة على أن بعضهم أشار على بأنه يحسن بى أن أذهب إلى مكان يدعى « جريز » يبعد خمسة عشر ميلا انجليزيا عن «سورابايا» حتى أشاهد هناك الاهالى وهم يربون الاسماك على شاطىء البحر

أما السيارات فإنها من النوع الامريكى المنتشر هنا انتشاره فى استراليا وكانت سيارتى من طراز (بويك)

وعلى الرغم من أن البلاد الجاوية شديدة الحرارة ، لافحة الأوار ، فإن شيئاً من التراب قل أن يبدو على أديمها ، ذلك أن المطر الذى لا ينكف عن الهطول بها كل يوم قد أباد التراب وقضى عليه ، وإن هذا الشأن لما يسر السائح الذى يشاء التجوال بسيارته حتى ولو كانت السيارة مكشوفة لا ستر لها ....

ولقد لاحظنا فى طريقنا إلى «جريز» أن القوم هناك يكثرون من زراعة الأرز .. كما مررنا فى طريقنا على غابة جذابة المنظر ، فاتنة الرواء . وهنا بدرت لنا فكرة الذهاب إلى ـ كفر ـ جيرى . . . حتى نزور قبر (مقلنا ملك ابرهيم) ذلك الرجل العظيم الذى يقدس فيه الجاويون ذكرى أول رجل مسلم دخل أصقاعهم ونشر فيها تعاليم الدين السمح الحنيف .... فلما ذهبنا إلى «جيرى » تأكد لدينا أن مقبرة الرجل فى بلدة تدعى « جريز » .. فأخذنا معنا أحد الصبية الوطنيين ليؤدى مهمة الدليل واقتعد مع السائق أريكه القيادة فى السيارة . فعندما أشار الصبي بوقوف سيارتنا كنا أمام أطلال دوارس تشبه فى نسقها المعابد الهندية فحسبت الدليل الصغير قد ضل الطريق وحاد عن الهدف ولكنا وجدنا حشداً حافلا من مقابر المسلمين كان لنا حظ التوفيق فى زيارتها والاعتبار بما تضم بين صفائحها . . .

وياسبحان الله . . . .

إن منظر المعابد الهندية ليدع فى النفس حالة قدلا يهيأ له شهودها فى سواها . . حالة من الروعة الصامتة ، والخشوع الهادىء . . تمدها الى الجنان تلك العناية التى التفت حواليها فأبدعت فى حواشيها ونمقت فى نواحيها . . . فأنك تراها . . إما وسط غابة تحف أشجارها على جدرها ، وإما على حافة بحيرة تدفع صفحتها المنبسطة الى جلالها جلالا مديدا بينما تقف على أرجائها أشجار «الفيكوس» الضخمة الفخمة تلك الأشجار التى تبلغ سنها بين مائة وبين مائتى عام . . . تبدو لك جذورها

المتعددة . وكأنها عظام الموتى . . . . .

ولقد قيل لى ان هذه الاشجار التى تجاور تلك المدافن تبلغ من العمر مابين ثلاثمائة وأربعمائة سنة . .

وفى الحق إن مشهدها أكثر هيبة وأجزل مكانة من مشاهد أخواتها اللاتى يظللن المعابد السفلى . .

لقد أهاب بى ولعى بالنباتات أن آخذ من وقتى فترة رحيبة أمتع الطرف فيها بعظمة هذه الاشجار

وفى مقدورى أن أصرح بأن أكثرها بهجة وأجلها صمودا الى النفس . وركونا فى الشعور . . إنما هى فصيلة « الفيكوس » ...

وقدمنا شيخ عجوز مكتهل وفتح أمامنا الباب ولشدة ما أسفنا لحالة القبر . وتألمنا لشأنه . فإنه أثر عاف . ومعلم دارس وأنقاض لاتفصح لرائيها الا عن بالغ الحسرة . . بينما يعمر جاوة ثلاثون أو أربعون مليونا من المسلمين لم يهتف بينهم واحد بدعوة تصلح من هذا الرجام وتعيد اليه من الجدة مايحدث عن جليل شأن ساكنه العظيم . .

وتلك هى حالة الشرق . . يصرخ بنوه رغبة فى الإصلاح . وينشد أهله كل عمل منتج . ويضجون فى مجالسهم بكثير من الجدل . ووافر من الحديث الشيق بينما تجمد أعصابهم . وتغلق أفواههم إذا دفعوا إلى العمل الصالح . . . لأنه سيأخذ من همتهم ويبيد نذرا من نقودهم ....!

إن هذه المقابر التى شاهدتها ككثير من مثيلاتها فى كل بلد إسلامى تملأ جوانبها النقوش . فهنا تقرأ تاريخ الأموات وأسماؤهم

مكتوبا بالخط الثلث

كما تقرأ بالخط الكوفى على كل قبر كلمة (لا إله إلا الله هو القادر) فى حين أن واجهة القبور قد كتب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلى ذلك جوانبها التى نقشت عليها آية الكرسى فى كثير من العناية والإتقان..

غير أن الأحجار قد ذابت من كثرة المطر .. وانمحت هذه الكتابة إلا القليل الذى سيندثر دون ريبة إن لم تقم عليها الستائر لتقيها التلف .

وليست إقامة الستائر على القبور بالأمر العجيب ... إنما العجيب والمؤلم حقاً أن يذهب الزمن . وتذهب عوامل الطبيعة بهذه النقوش التى نضعها فى قيمة الوثائق التاريخية المجيدة . . تنبىء عن عظمائهم . وتحدث الاجيال عما كانوا يعملون . . .

وأعود مرة الى الشرقيين فأذكر لهم فى جم من الأسف ضئيل عنايتهم فى ذلك السبيل وقليل اكتراثهم لأداء عمل قد لا يكلفهم كثيرا بينما يحفظ لهم إذا أدوه . سلسلة مرتبطة من حلقات تاريخهم قد ينفعهم استوعابها يوما

لقد وقفنا حيال هذه المقابر أنا وسكرتيرى أحمد مختار ورفعنا أيدينا إلى السماء نستمطر الله سحائب الرحمة على إخوان لنا فى دينه القيم ونقرأ الفاتحة على أرواحهم التى ذهبت جوار ربها . وكان من بواعث الغبطة أن نؤدى ذلك الصنيع لقوم جاهدوا ملء جهدهم وجالدوا ملء قوتهم فى سبيل الاسلام حتى رسخوا من دعامته ورفعوا من هامته ....

ثم أعطيت العجوز « واحد جلدر » وهو نوع من العملة تساوى « جنيه انجليزى » ففرح وطرب لأن لهذه القيمة شأنها مع الرجل الفقير . . .

ثم رجعنا إلى السيارة وأخذنا سبيلنا فى العودة الى المدينة فى طريقنا الذى سلكناه فى الذهاب

وأمرت السائق أن يمر بنا على حي العرب فى « سورابايا » فإذا بهم ظاهرون بسيماهم ولونهم الفاتح عن الجاويين ووجههم الصبوح الجميل . وإذا بأكثريتهم تزاول التجارة وتجارة الاقمشة — « المانيفاتوره » بنوع خاص إلى هذا مايمدون به الاهالى من مال يقرضونه لهم بالربا ...

وعلى الرغم من كسبهم ومن ربحهم الكثير فان الصينيين أحسن منهم حالا وأكثر رغدا ولقد ألفيت فى طريقى أبنية كتب عليها « مدرسة الاصلاح والارشاد » ولكن يلوح لى أن القوم فقراء . وأن مقدرتهم على العمل المنتج مقدرة ضئيلة لاتحدث أثرا ملموسا

ثم عدت إلى الفندق . . . وتحدثت لصاحبه عن زيارتى قبر « مقلنا ابرهيم » فأنبأنى أن دليلنا قد ضل بنا الطريق . وأن ذلك القبر الذى شهدناه ليس بقبره ...!

إن حالة الاهالى تدلنا على أنهم فطروا على البساطة والسلم . وتحدثنا بأنهم جد فقراء لاشأن لأكثرهم ولا صناعة .. الا مزاولتهم لخدمة الأجانب خدمة يؤدونها بكل أمانة وجهد . . فى سبيل أجر تافه . . . ومال قليل . .

٦ أغسطس

كانت ليلتنا فى ذلك الفندق رديئة تنذر بعدم الراحة وتجتوى بالهناءة . . . فحرارة الجو قد بلغت منتهاها ومراتب السرير جامدة صلبة محشوة بالقش حتى تكون ضد استجماع الحرارة على جسم النائم . وليس ثمة من غطاء غير السقف ... وعلى هذا فإنى افتقدت النوم طيلة الليلة لأن عوائدى لا تتفق وذلك النظام الجديد

وكانت رطوبة الجو التى بلغت نهاية الفزع قد أكدت لدى أنى لن أغادر الفندق إلا مصابا بالروماتيزم ولكن الله سلم ...

وفى الساعة الثامنة صباحا جاء رجال الفندق ليأخذوا متاعنا الى محطة السكة الحديد . . وفى التاسعة والنصف غادرنا ذلك الفندق يرافقنا واحد من موظفيه ... وكان حظنا مع ذلك الموظف الحظ الضئيل الأقل فإنه لا يعرف لغة أجنبية . . . وهكذا كان التفاهم معه مستحيلا صعبا

وأخيراً وصل القطار فى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين وكان دخولنا الى عربة الدرجة الاولى فى القطار أشبه شىء بالهجوم والقفز مخافة منا أن تكون مليئة ومكتظة . . ولكنا سررنا عندما تبين لنا أننا فيها دون شريك . . .

ولكن الكمسارى قد أخبرنا بكل أسف أن هذه العربة ستترك القطار . وأنه يتعين علينا أن نغادرها إلى سواها . فألفينا العربة الثانية

للدرجة الاولى ولا فراغ فيها . ولا موضع قدم . . فاضطررنا إلى أن نأخذ مكاننا فى الدرجة الثانية على الرغم من أننا نحمل تذكرة للدرجة الاولى . . ولبثنا كلما أقفر مكان من صاحبه نتنقل اليه حتى أتيح لنا أن نستريح . . .

إن المناظر على جوانب القطار جميلة وممتعة والأراضى كلها مزروعة بأتقان . . وتكثر فى هذه الناحية زراعة القصب وهو طويل رفيع . . ولقد شهدنا عديداً من « الفابريكات » قيل لنا أنها معامل للسكر وأن ذلك القصب يزرع من أجلها

ثم جاء موعد الغذاء فتناولناه بالقطار . . ولأن قائمته كانت مكتوبة باللغة الهولندية فقد أصبح لزاما علينا أن نترجمها حتى نختار من ألوانها مانريد . .

سولو

ولقد مررنا فى طريقنا على مدينة « سولو » عاصمة «سلطنة» ويقال أن حاكمها رجل مسلم . وهذه المدينة يبلغ تعدادها مائة وأربعين ألف نسمة بينهم ألفان وخمسمائة من الاوروبيين . ويرتدى أهلوها وأمراؤها الأقدمون أردية الوطن القديمة حتى لقب الجاويون تلك البقعة من جزيرتهم « جاوة الاصلية » وهم ينظرون إلى سلطانهم وكأنه الحاكم بأمره عليه أن يأمر وعليهم أن ينفذوا أمره دون لجاجة أو استخذاء . .

على أن الحركة الأخيرة التى قامت من جانب الجاويين ضد «هولنده»

قد ألجأت هذه الدولة على أن تقص من أطراف السلطان وأن تقلص من ظله . وتضعف من سلطته . .

يعيش السلطان فى سرايه التى تتاخم دوراً أنشئت لكبار الموظفين وجملة من أقاربه يحيطها سور عالى كبير . . حتى ليتراءى للناظر أن هذه الدور قسم قائم بنفسه فى تلك المدينة . . وإذا شاء أحد من السائحين أن يشهد « سراى الحاكم » تمكن له ذلك إذا أذن له موظف هولندى كبير

وتجمع « سولو » بضعة من الشوارع الجميلة التى يظللها الشجر الوارف إلى ذلك بضعة أخرى من الشوارع التى تجرى عن يمينها وشمالها ترع صغيرة ذات ماء رقراق فإذا أراد أحد ان يأوى الى بيته فى تلك الشوارع أو يخرج منه تسنى له ذلك بواسطة قناطر صغيرة

ولقد شهدت بعضاً من ممثلى « السرك » يؤدون ألعابهم فى الشوارع . .

وترى هنا كما ترى فى الصين أن عظماء الرجال لايؤدون نزهتهم خارج منازلهم إلا وقد ساروا خلف واحد من تابعيهم يحمل مظلة ذلك العظيم فى يده دلالة على أن سيده من طبقة نبيلة ممتازة . .

وحركة التجارة فى « سولو » على مايبدو لى منتعشة جداً فقد شهدت بها دكانا كبيراً يدعونه بالهولاندية « Baz r » «بازار» وفى الحق إنه ملىء بأشتات المصنوعات الوطنية التي تنتجها هذه البلاد

وهذه الدكاكين تقع تحت رقابة الحكومة الهولندية وعلى هذا فقد

يندر التلاعب بالأسعار. وأجمل ما تؤديه الحكومة تشجيعا لهذه الصناعات أنها توحى الى أصحابها أن يبيعوها بثمن لاجشع فيه ولا طمع حتى يتهيأ لها الرواج والذيوع . . وحتى يقبل المستهلكون على شرائها آمنين الغبن الفادح مطمئنين إلى أنهم قد أخذوا السلعة بثمنها الذى يجب أن تكون عليه

جوكجه

ولقد قيل لى إن ذلك الشأن المحمود تؤديه الحكومة فى مدائن الجزيرة كلها . . .

وفى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين وصلنا إلى . . جوكجه . ويجمل بى أن أسجل بأن القطار كان سيره بطيئاً على الرغم من أن الأرض التى يدرج عليها أرضها منبسطة لا وعورة فيها

وكان فى انتظارنا على المحطة أحد موظفى الفندق الذى سننزل فيه وقيل لى إن ذلك الموظف يعرف إحدى اللغات الأجنبية فكان سرورى به جماً عظيما . . . ولكنى ألفيته على النقيض لايعرف إلا كلمة « Yes » فإذا سألته عن شىء أجابنى بها . وإذا استوضحته عن أمر كانت هى كل خطابه . . .

وأخذت . . الأمينوبوس الذي يرسله الفندق إلى المحطة لاستقبال ضيوفه فوصلته بعد دقائق . . .

إن الفندق الذى نقيم فيه . . جراند أوتل . . ليعد من أكبر فنادق المدينة وأفخمها . . ولقد أعدوا لمقامنا . . فيللا صغيره . . على أن الفيللات . . هنا أقل شأنا من مثيلاتها فى . . سورابايا . .

وأول ما أخذنا به نفسنا بعد وعثاء السفر الطويل هو أن نزيح أوضار الطريق بالاستحمام . . فكل بلد حار يجلب فى النفس شوقا إلى الماء وحنيناً إليه.

وأغلب الظن عندى أن الاستحمام بالماء مرتين أو ثلاث قد لا يشبع رغبة النفس فى اتقاء هذا الهجير . .

والحمامات هنا لاتشبه الطراز الاوروبى بل هي شرقية رومانية قديمة تتكون من حجرة صغيرة فى أحد أركانها . . ماجور . . تعلوه حنفية ماء بارد . . . لأن المياه الساخنة لا تستعمل فى جاوة إلا لطهى الطعام . .

وعلى المستحم أن يملأ ذلك . . الماجور . . ثم يمسك كوز الماء بيده ويزاول عملية شاقة فى صبه على جسده حتى إذا ما انتهى كان عليه أن يدلك جسمه بالصابون ليعاود مرة أخرى عملية . . الكوز . . وهكذا دواليك حتى ينتهى من ذلك العمل الشاق

« جوكجه » هى المدينة السادسة بين المدن الجاوية . وهي العاصمة كما أنها تبعد عشرين ميلا عن ساحل المحيط الهولاندى . تصلها « بتافيا » بالسكة الحديدية . . . وقد أنشئت محطتها فى وسط المدينة وعلى مقربة من فنادقها

وأما عرباتها التى تخص الوطنيين فيها فهى نوع من العربات ذات العجلتين أو الاربعة عجلات يجرها حصان صغير يشبه . . السيسي . وأما السيارات فإنها وقف على الأجانب والأثرياء فى تلك المدينة .

وأكبر شوارعها وأجلها شأنا وأكثرها عمرانا ذلك الشارع الذى يدعي شارع « Residence » ففيه الفنادق الكبرى وبضعة من النوادى

ويبلغ تعدادها مائة ألف نسمة بينهم ما يقدر بأربعة آلاف من الأوروبيين، فهى فى هذه الوجهة أقل تعداداً من «سولو» كما أنها أكثر فى ناحية الاجانب . . .

على أنها تشبه سولو فى نظام الحكم . . فهى ثانية الولايات التى يطلقون عليها اسم «سلطنة» يحكمها «سلطان» يحتفظ جهده بتقاليد قومه الأقدمين

ويرعى ما « لرتبته » من عهود . . وولاية العهد فى هذه « السلطنة» تتآلف مع النظم القديمة التى كانت لولاية العهد فى الشرق . فأخ السلطان هو « ولى عهده » وان لم يكن من أخ فأكبر رجال العائلة سناً هو ولى العهد العتيد . .

وقد جعل موقع المدينة الجغرافى لها ميزة خاصة . فإنها فى قلب الجزيرة . وعلى هذا يعدها السائحون نقطة ممتازة ، ومكاناً يجب أن يزار .

وقد بنيت «جوكجة» على أنقاض بلد قديم كان مسرحا للاضطرابات والفوضى . وميدانا رحيبا للقلاقل والتقاتل .

وأجدر ما يذكر فيها «سراى السلطان» يحيطها سور تقدر مساحته بميل مربع وأمامها ميدان رحيب حفل بالشجر الشامخ الضخم تقوم على جوانبه أشجار نسقت على وضع « المظلة » لما لها من مكانة التقدير عند الجاويين جميعا

وإلى جانب هـذه البهجة التى تتراءى جلية فى مشاهد الميدان والسراى ، يجدر بى أن أقول بأن أحقر مافى المدينة هو « دورات المياه » التى تعود بنا الى حقبة « حجرة الزير » فى منازلنا البالية العتيقة . . !

وفى موعد العشاء التقيت مع اثنين من السائحين كانا معنا فى الباخرة فى قدومنا من « استراليا » إلى « سورابايا »

ولقد طلبت من ادارة الفندق أن تضع على سريرى « ملاءة » حتى أتمكن من الغطاء . وحتى لا تتكرر مأساة السهاد الذى أصابنى فى الليلة الماضية وهنا يحسن بى أن أوضح حالة الفراش كما شهدتها فى حجرة النوم . . .

« فالناموسية » فى جاوة لها وضع خاص . . تفتح من ناحية واحدة كباب تلج منه إلى السرير ثم تشد من الناحيتين حتى تغلق كما تشد الستائر فإذا كانت مفتوحة فإن لها فى أعمدة السرير — من الناحيتين ايضاً — « شنا كل » كهذه التى تمسك الستائر عند ما تكون مفتوحة بجوار النوافذ . . .

وأدهش ما رأيته فى السرير أنه توجد عند « المخدة » مقشة كبيرة جامدة تشبه المقشات التى نستعملها فى بلادنا لغسيل الحجرات ، ، ، بينما توجد إلى جوارها « مخدة » طويلة صلبة ، ، كأنها قطعة من الخشب . .

لقد دهشت جداً لرؤيتهما وقد تمددا فى وسط السرير . . . وأخذنى العجب لهذا المنظر الذى لم يختلف إلىّ رؤية مثله . . . فألفيت أنه من الحتم

علىّ ان أسأل مدير الفندق ، وأن استوضحه ذلك السر الهائل . . . فكان جوابه : —

إن المقشة قد وضعت هكذا حتى يتسلح بها النائم ضد حشرات الأرض . من عنكبوت كبير وسحالى وخفافيش . . . وثعابين !

وأما « المخدة » الحجرية الطويلة فإنها تدعى « الفتاة الهولاندية » وأنها وجدت هكذا لينام عليها الانسان أو يتكىء . . حتى تتمكن له بواعث الراحة . . !

لقد أفزعتنى مهمة « المقشة » فإن النوافذ بغير زجاج و « الشيش » فيها لاينتهى إلا إلى النصف على نقيضه فى نوافذنا . . ولقد جعلوه هكذا فى جاوة حتى يجلب نصف النافذة المفتوح شيئاً من الهواء إلى الحجرة إلى هذا أن هذه الأماكن أرضية ليست لها فراندة على . . سطح الأرض . وفى هذا ما يجعل السبيل سهلا أمام هوام الليل وحشراته البغيضة التى يغمرها السم الزعاف .

ولقد أضحكتنى قصة « المخدة » وكان شأنى أن أجتويها أول الأمر على أنى تحققت من فوائدها بعد بضعة أيام ، وآمنت أن الذى قيل لى عن مهمتها واضحاً صحيحاً .

إن مشاهد الصباح فى جاوه تمتع النفس وتبهج الحس ، وإن مرائيها فى الساعة الباكرة جميلة وفاتنة . فهذه أشجارها وزهورها تفتح عن أفنانها جمال الطبيعة الشائق فتملأ الجنان غبطة . . وهذه عصافيرها تسمع

الأذن تغريدها الفائق الامتاع . السليم النفحات . . تلك صور تحرك الفؤاد . وتذهب عن جوانبه كل أسى . .

لقد عنى الجاويون كما عنى المسلمون فى كل فج بطير . . اليمامة . . فقلما ترى منزلا فى الجزيرة يخلو من زوج أو اثنين يحيطها أهل المنزل برعاية موفورة . . ويدعون لها شيئا من إكرامهم بأن يضعوها فى قفص مخصوص . وترى أهل الريف يبالغون فى إكرامها إلى الحد الأقصى حين يرتفعون بها إلى سماء المنزل مربوطة بحبل شد على عامود حتى تخال أنها بين مدارج الجو حرة طليقة . . .

كنا من « سورابايا » إلى « سولو » لانشهد من المزروعات غير «القصب» وغير هذه الفابريكات التى مدت السكك الحديدية إلى مزارعها حتى تكون عملية الشحن يسيرة سهلة أما فى « جوكجة » فإن ضواحيها مغمورة بزراعة الارز الذى يستولى عليه الاجانب . . ولقد رأينا فى كل «تفتيش» جملة من «الأجران» المسقفة المبنية من خشب « البامبوز » الذى تكثر أشجاره فى هذه الجزيرة . . وليست « أجران » الأرز وحدها هى التى تبنى من هذه الأخشاب فإن جدران المنازل وأسوار الحدائق ومجرات العربات والنقالات . . . كل هذه المنافع تبنى من شجر البامبوز

لقد رأينا أن حركة الزراعة هناك تدل على نمو واضطراد نجاح . . . كما أن الأهالى يعمرون الأصقاع فى كثرة واضحة .

ويلوح لى أن أجور العمال ضئيلة تافهة . فكثيراً ماترى ألوفاً منهم يملأون المزارع وذلك يدل على كثرة الأيدى وتفاهة الأجور على أن

المثل القريب الذى أريد أن أظهرك به على حقارة الأجور هناك هو أن الصبى الذى تبلغ سنه مادون الثانية عشر بقليل لا يأخذ أجر يومه غير مليم واحد . بينما هو يؤدى عمل الرجل تقريباً ! !

وأجمل مشهد وقع عليه نظرى بين هذه الأراضى المنبسطة التى غمرتها النباتات هو مشهد المنازل الجميلة التى ابتناها السكان بين الأشجار الظليلة . فإنك تخالها أول الأمر بقايا جذور قطعت سيقانها ، واندثرت أغصانها ، فإذا أمعنت فيها النظر عجبت لهذه الفكرة الجميلة التى نظم بها القوم هذه الاماكن حتى اتخذوها مأوى أميناً ، وبيوتاً هادئة حصينة .

بينما هذه الأشجار التى تظللهم تضم إليها جمعاً من أشجار الفواكه كشجر « الموز » و« عين الجمل » و« البن » إلى ذلك ما بينها من أشجار الفواكه التى تخص البلاد الحارة كالمانجا وما إليها

أما المساكن فى هذه المدينة فقد بنيت من « بامبوزه » وسقفت من قش الأرز على أنها فى صورة من الاتقان الجميل .

لقد قيل لى إن الأهالى هناقوم بسطاء فى كل شىء . . فى معيشتهم، وفى السبل التى يتوفرون عليها طوال حياتهم . وإن الحياة العلمية بين طبقاتهم معدومة لا ظل لها . . فقليل منهم من يتعرف قواعد الحساب وعلى ذلك فقد ألجأتهم الحاجة إلى أن يفتقوا الحيلة التى أضرب مثلا منها

عند ما يولد بينهم مولود جديد يزرع أهله فى الحال شجرة من شجرات « جوز الهند » فاذا سألتهم بعدئذ عن عمر فتاهم ذهب بك أحدهم الى الشجرة التي غرسوها يوم مولده ، وعد حلقاتها المرسومة على

جذعها ... ثم يجيبك أنه قد بلغ عمره كذا من السنوات. ذلك أنهم عرفوا أن هذه الشجرة لا تستدير حلقتها إلا كل حول، فلجأوا اليها يستنطقونها ذلك الحساب الدقيق . . :

٧ أغسطس

من الحتم أن يدهش الناس لأنى لم أؤد الزيارة لواحد من السلاطين ... أما أنا فأعيد دهشتهم إلى فكرة المستعمرين فى ذلك الشأن حتى لا يذهبوا بعيداً إلى موطن الغرابة والتأويل...

إن المستعمرين يحرصون جهدهم على أن لا يختلف أمير شرقى مسلم إلى واحد من الأمراء أو الشيوخ فى بلد بسطوا سلطانهم عليه ، وتغلغلوا بجبروتهم فى نواحيه...

وأذكر فى كثير من الأسف أنى عند ما أردت الذهاب الى تونس والجزائر ومراكش على أمل زيارتهم وفقا لبرنامج سياحتى حول العالم . تلمست صوراً من الصعوبات الهائلة التى تعترض الزائر الشرقى فى طريقه الى تلك الممالك...وأصرح هنا بأن هذه العقبات لم يذللها ويدفعها عن سبيلى إلا تأكيدى الحاسم للحكومة الفرنسية بأن سياحتى ليس لى من ورائها مطمع مستور ، ولا نية خافية . . وإننى فى سبيل أن أزيل من شكوكهم نحونا سوف لا أزور واحداً من كبراء هذه البلاد . . ! !

وهكذا كان الشأن فى رحلتى إلى جاوة .. فإننا حينما أظهرنا رغبتنا فى زيارتها لكثير من كبراء الهولنديين كانت بسماتهم تنم عن السرور

والغبطة الجمة . والترحيب الكبير . . . ولكننا تبينا الحقيقة التى أسدل عليها الحجاب . فاذا بهم لا يحبون أن نخالط احداً من المسلمين فى هذا البلد ولا أن نتقرب الى رجل رسمى من مسلميها

والى هذه الاسباب وحدها قد رأيت ألا أختلف الى رجل رسمى فى البلاد . .

تحقق لدى أن الجاويين فى وجهة الزواج يلابسون النظم الشرقية فى أمره . . فالأطفال يتزوجون من صغار البنات . وكبار الشيوخ يتزوجون ممن لم تبلغ الحلم . . وكثيرات منهن لم تخط إلى سنتها الثانية عشر

وأحمد الله على أن الثورة التى قامت فى جاوة قبل عام من رحلتنا فيها قد دفعت الى قلوب الهولنديين فكرة الشدة فراحوا يعدلون فى قانون البلد العام . . . وفتحوا فى لوائحه أبواب البنود الجديدة التى جعلوا منها تحريم الزواج على الفتاة التى لم تبلغ سنها السادسة عشر ربيعاً . .

إن الجاويين قصار القامة . . وقد يكون من بواعث ذلك أن أمهاتهم يتزوجن صغيرات السن وأنهن يلدن قبل أن تكمل لهن سن البلوغ فينتج النسل سقيما هزيلا . .

ولقد أفادت الحكومة الهولاندية الصحة العامة فى هذه الجزيرة حين قررت أن تمنع كل تاجر للمأكولات من مزاولة مهنته إلا أن يضع سلعته تحت زجاج أو « شاش » أو شبكة من السلك الرفيع . . . كما

حرمت على أى انسان أن يضع القمامة وما اليها من القاذورات فى الشوارع والطرقات . .

وإنه لعمل جميل أظهرنى على أن البلاد برغم حرها الشديد بعيدة نائية عن جيوش الذباب

فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً أخذنا سيارة لتقلنا إلى معبد قديم يدعى « بربادور » وقد بنى ذلك المعبد عام ١٧٥٠م وأقيم على نسق معابد الهند . . .

مررنا فى طريقنا على قسم من أقسام المدينة ثم انتهينا إلى الخلاء فى طريق من أفخم الطرق وأجملها منظراً مرصوف بالأسفلت متسقة على جوانبه تلك الأشجار العالية التى اشتهرت بها هذه الجزيرة

وقد ألبسه اتساعه الرحيب الذى يبلغ خمسة وعشرين متراً ثوباً من الجمال والبهجة ما يكاد الطرف يقع على روائهما حتى يخال أنه يشهد أفخم السبل فى ضواحي باريس أو لندره من وجهة التنسيق المنظم والنظافة الفائقة بينما هو فى اتساعه أضفى من طرائق هاتين العاصمتين وأجمل .

ويعود ذلك النظام . وتعود هذه الاناقة إلى ضآلة أجور العمال . . والى كثرتهم . فهم منتشرون فى كل مكان يعملون فى تحسين الطرق وفى تجميلها ، حتى يحسب السائر فيها أنه بين حديقة غناء ، ذات أفنان . . .

ولما كانت المدينة وافرة التعداد . فالطريق مزدحم بالأهالى . والفلاحون يجلبون نتاجهم للبيع . ويحملون متاعهم الثقيل على عربات تجرها الثيران . فان كان المتاع خفيفاً كأن يكون من الفواكه أو الخضر أو الدجاج أو

الأوز فأنك ترى الرجل يحمله على عصاة غليظة . شد هذا المتاع إلى طرفيها . وأسلمها إلى كتفه .

وانتهينا فى طريقنا الى بعض « الكفور » فاذا بنا نرى أن السوق تعمره السيدات وتغالب فيه الرجال تعداداً . وإذا بنا نرى أن كثيراً من الحوانيت يديرها النساء ، فأيقنا أن السيدات هنا لابد وأن يكن على غاية من الذكاء والدراية فى مزاولة التجارة ، وهن فى هذا المكان كاخواتهن فى أرجاء الجزيرة قصار القامة ضعيفات . أما الفلاحون فأنهم بالنسبة للسيدات أكثر قوة . على الرغم من أنك تظن أنهم سيهبطون إلى الأرض من شدة الضعف والوهن . !

كما أنك ترى من بينهم من يتزوج وعمره عشر سنين أو اثنى عشر .

وعلى أى حال فان الذى علمته أن واحداً من الأهلين لن يجاوز الستين عاماً وهو على قيد الحياة . !

إن الأشجار والنبات والعصافير والحشرات فى هذه البقعة لعلى غاية من السعادة والجمال والرونق النضير البهى .

وإن الانسان هنا لبالغ منتهى الضعف والفاقه والمسكنة . أما الخيول والماعز والثيران فانها قرينة الانسان فى ضعفه وهزاله . بينما الكلاب الجاوية ضئيلة الحجم صغيرة جداً . !

وصلنا الى بربادور وإذا بنا حيال الآثار التى تركها البوذيون فى جاوه وهو معبد كروى السارية أحجاره من النوع البركانى يحسبه الرائى عن بعد اهراما رفيع العماد وقد زين بنقوش وتماثيل صورت فيها

الطيور والعصافير والحيوانات والأفيال على نسق من مثيلاتها فى المعابد الهندية الى ذلك ما أقيم على قمته من تمثال لبوذا الذى يربو عرضه على مائتى متر .

ثم صعدنا على قمة الهيكل رغبة منا فى امتاع الطرف بمرائى الطبيعة من حوله فاذا هى مشاهد جميلة رائعة ثم تركناه الى السيارة وأخذناها الى قرية صغيرة تدعى « مندويت »

ففى «مندويت » شهدنا هيكل « بوذا » من حجر واحد يرتفع إلى أمتار ثلاثة يقف عن « يمينه — براهما » وعن يساره « سيوا » وهذه الهيا كل الثلاثة لاتلاصق بعضها . بل كل منها قد استقل عن أخويه . على أنهم فى وضعها قد جاءوا على أجزل دقة . وأجمل إتقان

ولقد ألفيناهم هنا يستعملون « البخور » ويغلب عندهم بخور الصندل القوى النقى لوجوده بكثرة هائلة فى تلك البلاد .

أعطينا « البقشيش » للخفير العجوز ولقد شئنا أن نسأله عن دينه فأشد دهشتنا حين علمنا أن خفير المعبد الوثنى رجل مسلم . :

ويجدر بى أن أذكر ـ على ذكر «البقشيش» أن القوم هنا على شىء كثير من الأدب الجميل فهم يتقبلون ماتمدهم به دون أن يهجموا عليك ويضايقوك كما هو الشأن فى كثير من البلاد .

ومهما يكن العطاء قليلا . فان أحداً منهم لن يتبرم به . بل يمسكه بيد . ويضع الأخرى على قلبه . ثم يركع على ركبتيه ويلقى بعطائك على رأسه. وإنه ليقبله قبل أن يضعه فى جيبه. كما تعود الشرق فى عهده القديم.

ورجعنا إلى الفندق حيث كانت الساعة العاشرة والنصف .

بعد الظهر .

أخذنا السيارة ورفقتنا واحد من موظفي الفندق ركب معنا لنجول فى المدينة . فمررنا أول الأمر على ذلك الحى الذى يقطنه الافرنج واذا بمنازله أقل شأنا من منازل الفرنجة فى « سورابايا » واذا بنا نرى عدداً من المدارس والمستشفيات الى ذلك ماوجدنا من ثكنات صغيرة يعمرها الجنود الهولانديون كما رأينا فى تجوالنا بهذه الناحية ديراً للقسس .

واجتزنا هذه المشاهد الى أن مررنا على سراى السلطان التى يحيطها سور مرتفع أبيض اللون ، وترقبنا أن نشهد واحداً من الجند الذين يحرسون السراى . ولكنا لم نشهد منهم أحداً . . . وهذه السراى لما تجمع من ملحقات . . . قد أخذت من المدينة حيزاً كبيراً من مساحتها

وأدهش ما قيل لنا أن السلطان قد بنى من ثلاثين زوجة ، وأنه شاء هذا العدد الوفير حتى يمر الشهر عليه ، وقد خلى كل يوم الى زوجة لايشهدها الا فى دورها من الشهر القادم وهكذا دواليك . :

أما القسم الأهلى فى هذه المدينة فانه خلو مما يلفت النظر . :

لايعرفون هنا « المسلى » ولذلك ترى أن أغنيتهم تطهى بزيت الهند.

وأجور السيارات أضعاف أجورها فى «سورابايا » ففى هذه المدينة ترى سيارات من نوع «taxi » قدرت لها الحكومة تعريفة خاصة . أما هنا فكنا نجلب السيارة بواسطة «بواب الفندق» ، وعلى هذا فقد تعين علينا أن ندفع الأجر أضعافا مضاعفة .

وقد ذهبنا إلى فوتوغرافى واشترينا منه بعض المناظر .